أجمع نفسي خمسة
وحسب تسعة عشر

زينة عازار



شعر

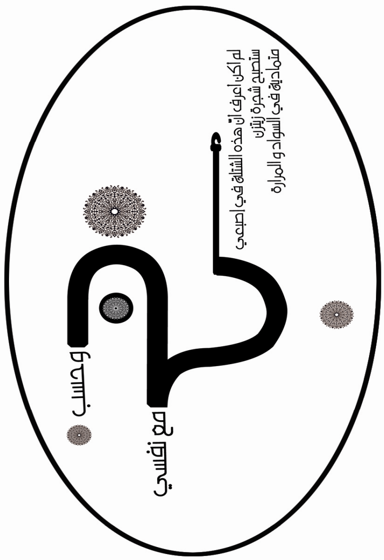
زينة عازار

أجمع نَفسي وحَسب

اسم الكتاب : أجمع نَفسي وحَسب
اسم المؤلف : زينة عازار
تصميم الغلاف

الطبعة الأولى : 2016
رقم الناشر الدوليّ : ISBN: 9781326527457
الناشر : دار مخطوطات

Makhtootat press and publishing house
Mauvelaan 67
SW Rijswijk 2282
The Netherlands
Tel : 00316101192 35
0031620778642
e-mail: makhtootat1@gmail.com


لم أكن أعرف أنّ هذه الشتلة في إصبعي
ستصبح شجرة زيتون
متمادية في السواد و المرارة
ألم
مع نفسي
وحسب

(ختم الكتاب)

(1)

هل كانَ يجبُ أن أكتبَ شيئاً، كي لا تبدو الحياة معطّلةً.
أن أسحبَ حفيفاً رقيقاً من هذا السكونِ العاقرِ
الذي يلفُّ العالمَ ويلفُّ يدي.
أن أخرجَ مُسرعةً من ليلٍ بِكر، من ليلٍ كثيفٍ.
أن تهزَّ الستارةَ الخفيفةَ حركةٌ، أيّةُ حركةٍ بسيطة، على امتداد هذا الشتاء الأزليّ.
هل كانَ عليَّ أن أنسى الهاويةَ في صوتِكَ، وأردّدَ أنّ العيشَ مستمرٌّ وكم تشبُهني هذه الأشجار.
لا شيءَ سيخرجُ من إطارِهِ، على الأقل ليس في هذا الصباح.
سيطيرُ عصفورٌ أحيانًا ويرفُّ في صدري، أحياناً فقط.
ما كان يجبُ أيُّ خوفٍ، أيُّ تظاهرٍ من كلِّ هذا.
على الجدار، ستظلُّ السّماءُ على حالِها،
غير مصابة بأذى.
أنا والهاوية خارج هذا الإطار.

(2)

إن لم أجِدْ لي صورة ملائمة في هذا اليوم، سوف أقطع غصناً من هنا وورقةً من هناك،
بعض الفانيليا والقرفة وقليلاً من الزعفران.
أزرعُ على كتفي المجمّد قطعةَ جاد أو حجــرَ زَبَرْجَــد، سيكون لي عمرُ فراشةٍ وذاكرةُ سمكةٍ، وللأسف، قلــبُ عصفور. سأنظر إلى العالم من بعيد، من خلال النّظــرةِ التي لم ولن تكفيها حياةٌ واحــدة، حيــاةٌ منتهيــة علــى الأرجح. سوف تنقضي بعض الأشياء بالتأكيد، كالخروج من الأبيض والأسود والكفِّ عن النّحتِ والقلق.
قد تكتمل حينها خفّتي، وأعود بصورة أنقى.
قد أتكلّمُ دون حاجةٍ للُغةٍ خاصّةٍ،
كي لا تحجّمَني وعورةُ هذا العالمِ وسذاجةُ هذه الكلمات.

(3)

هذا العالمُ المشرفُ على الموت يتهافتُ علـــى إفراغِــكَ قبل أن يرحلَ. لم يبقَ حقًّا سوى صوتكَ المتكسِّـــرِ فـــي ذاك المكان من العُمقِ. لا تجد لغةً لترميمِ هـــذا اللّيـــل. عيونُ الوحشة وحدها ترى ما يحدثُ في المسافة الخاوية بين النّشوة والموت. تلك المسافة الوهم في حياةٍ زمنية، حين لا تنتظر شيئاً أو أحداً، وتشعر ببردٍ خفيف.

(4)

التوحّدُ المضطرب في الكون
هو جسدي الذي أتحسَّسُهُ كلّما صحوتُ،
المكانُ الكونيّ حيث يستمرٌّ عالمٌ
من الأمس
المكان الذي يرى ويحيا جميع الحيوات
ليس سوى عدّة أيامٍ تنقص
وأخرى تتساقط منّي.
لعلّ الإصغاء يكفي
عند نهاية الوقت .

(5)

بدأَتْ تخيفُني الأماكنُ المكشوفة على كلّ شيء
يخيفني عجزي عن الإمساك بالوقت
عن وصلِ الدّقيقة بالدّقيقة
واليوم باليوم
تخيفُني الحاجة إلى نظرةٍ
أسندُ عليها كتفي في غياب الأمكنة
قبل أن تصير الحياة
مجرّد صورة.
عبرتُ حدود الشتاء
قبل الأوان
قطعتُ مسافة الصوت الذي
لن يصيرَ أبداً مكاناً آمناً
في حياةٍ عقيمةٍ .

(6)

كلُّ شيءٍ مائتٌ وهذا اللّيل على المائدة
هذه الأواني التي رتّبتُها ولمّعتُها
في قلبي
تتكسرُ كالحياة.

(7)

أشياءٌ عاديّة تُتابع طريقهـــا الآن. أشـــياءٌ قليلـــة تُتـــابع طريقها. لم يتمكّن كلُّ ما أراه في العالم من النّجاة، وكلّ ما لستُ أراه. كإيجاد يومٍ أخيرٍ لهذه الكأس الفارغة التي ترنّ في الداخل. كالجلوس أمام الساعة الماضية أجـــدلُ بها شَعري الذي صبغتُه بالأحمر. أن أُخـــرِسَ الـــذّاكرة بطريقةٍ ما. كي تصيرَ السّاعةُ عند الانتهـــاءِ آخـــر مـــا يَحدث. يُقالُ أن الأحمر يُعيد الرغبات المفقـــودة. لكـــنّ الكلمات مُشبعة بالأحمر، أكثر ممّا أعتقد.

قد أكونُ من الأشياءِ العاديّةِ التي لم تُتابع طريقها، فقط.

قد يكون ما أخذَني هو وقتٌ رهيبٌ لكي أُمسكَ بشـــيءٍ، بشيءٍ قليل.

(8)

لا شيء يدعو لتأمّل حياةٍ متأخّرةٍ داخـــل هـــذه الغرفـــة الخالية.

بعضُ ليلٍ وكسر زجاجٍ تمسحه مثل عينك.

هم لا يعرفون أنّ الأمر أخطر بكثير من الوضوح وأكثر ظلمة من اللّيل. من السّهل أن تنتهي في الطرف الآخـــر حين تُمزّق حركةً بسيطةً في مركزٍ مصـــنوعٍ بصـــمتٍ تامّ، وتترك الحركة وراءك.

يُمكن للمرء أن ينهار بحركةٍ بسيطة، من فـــائضٍ فـــي الداخل أو من إفراط في الحياة. تسير بدقّة في الحيـــاة، بهذا الشّكل،

أو تسير وحسب.

أنتَ الأخير حيٌّ جدّاً، لكنّك تتحدرُ أحياناً لتجدَ شيئاً طبيعيّاً، مثل مساحة العالم، المساحة التي ليست سوى الحاجز الخفيّ لإبطاء تلك الحركة.

سوف تعلم أنّكَ لستَ نفسكَ حين تكون في العالم: أن تكون نفسك هو أن تكون لانهائيّة الأشياء، وأن تولد ببساطة، من دون حسّ المقاييس.

وقد لا يعني لك هذا شيئاً.

(9)

إلى أُنسي الحاج

يحدثُ صمتٌ في يدك
صمتٌ من يدك
ينفخ على الكلمة
كي لا تتحدّث عن الذين ماتوا
في مثل هذا اليوم
في مثل هذه الحياة السّحيقة
ينفخُ فيطيرُ سربُ إوزٍّ برّي
يتراءى صديقٌ تجمّد في سالب صوَر
كأصص الوزّال المتشبّثة بصوتك.
شجرة المطر تحاول ألاّ تفكّر
بغيابك
في المكان الدّائم.

(10)

على هذا الجدار يتّكئ ظلٌّ ومستنقعٌ من اللاّجدوى.
حقل النّظر يعلو منذ الصباح من دون عراقيل، تماماً مثل ركام الحياة. أو كصدىً لهدوء تلك البيوت. سيكون صوتك أحد الأشياء المتروكة التي تأخذ شكلاً. ربّما بعد السعادة التي تتجاوز الجدران وسقم الأبواب. كلماتك التي تنمو على سطوحٍ خاوية، من أين تأتي تلك الكثافة؟ تلك الأمور الأكثر عاديّة حين تتكلّم؟
هناك المساء يجعل صوتك نحيلاً فيصير شفّافاً.
الشكل الّذي أذكره، مُنقِذهُ الوحيد.

(11)

أنا هنا صدفةً

في أرضٍ مليئة بالأعياد

يحدث دائماً

أعيادٌ ، حروب، ثم أعياد،

موتٌ

لأسباب مُبتكَرة وجديدة

سفَر، سفَرٌ، سفرٌ مقدّس ...

أبحاثٌ تجري عن منفعة لدغة الدبّور

عن حجم الكون الذي يتبدّل

بحسب عمري ومن أية زاوية يُرى

دراساتٌ معمّقة لا تقنعني حول الكآبة في أيلول

وعن جدوى الخيال في تطوير الحب .

وُجدتُ هنا صدفةً
مثل عبّاد شمسٍ برأس ثقيل
لا يملّ من الدوران .
هذا كلّه، الشغور المقنّع ورائحة الأدراج المقفلة
كلّ ما صار مُبيّتاً تحت القرميد
الأشياء الغير المرئية، الغير ملموسة
موجودة أيضاً وغير مُجدية .
الانسحاقُ هو نفسُه
تحت القرميد
وفي العالم .

(12)

يخطر لي أن أقولَ شيئاً حين يغادر السّاهرون. بعد أن يأخذوا حاضِرَهم الذي لا يتوقّف. أن أحتفظَ بصوتٍ مجهولٍ ليومٍ قادمٍ واحد بعد أن تفارقَني كلُّ الأشياء. أن أتعلَّمَ كيفيّةَ الانحسارِ في جزءٍ محدّدٍ من أجل تمرينٍ بسيطٍ على الموت. أن أتخلَّصَ من هاجس إعطاءِ شكلٍ لكلّ ما لا شكل له، كالألم. أن أخترع هيئةً للحياة حيث يصيرُ الوقتُ مساحةً للعرض، مثل المتاحف. أن أدركَ أنّ العالم ليس ببريء وأنّ كلَّ شيء ينتهي في ما هو دائم.

يخطرُ لي أن أتمنّى أن يترك أحدهم نوراً خافتاً حين ينام، لكي أُكملَ هذا الفراغَ المزمن.

كي أكونَ لا أحد.

(13)

كلّما اقتربتُ من حجرتي تضاعفت بيننا المسافة.
من حــولي يقبــعُ تشــبّثُ التفاصــيل علــى الطاولــة المضطربة. كأنّ لحظةً من صوتك تُقلّب الدفاتر وتحرّك الستارة على مهل، كي تستمرّ الأيام. الأرنب الموضوع في الفرن يكاد يكون أنا. ألوان المائــدة تتــراوح بــين الأحمر والاستغراب.

كم يصير المكان شديد الغرابة حين تحاول اســترجاعه بالكلمات...

لم أعد أحبّ تلك الستارة ولا طهو الأرانب بالنّبيذ. حتى عود الثّقاب الذي اشتريتُه من محلٍ لبيع الآلات الموسيقيّة، لم يعد يعني الكثير.

الحيرة الوحيدة في الخارج متروكة للانتظار.

تُغيّر لونها مع النّظرات. النّظرات التي بدأت تتحلّل بعدما تخلّى عنها العالم.

هنا لا يحتاجُ المرء إلى التذكّر. هذه الأشكال عقوبتي.

(14)

لأنّ الحياة هنا أقلّ من حاجتي
تعبرُ خالية
أعرف وأبقى نقيّة لأنّني أحمل الخوف
وأحمل رنين أجراس اللّيل.
شيءٌ ما أسمعه
صار ثقيلاً
مثل خطواتٍ على حافّة العالم
شيءٌ ما مثل ازدحام الأشياء
في مكانٍ بلا أحد.

(15)

في هذه الحياة الجافّة، لم أبحث يوماً عن شـــيء. ولـــم أنتظر أحداً، أَجمعُ نفسي وحسب، وهذا ليس بأمرٍ مُســـلٍّ كما يعتقدون.

هي حركة اعتياديّة تولّدت من الفوضى وتطوّرت مـــع مرور الوقت. مثل عدم الانجراف في سأم أيّام العُطل أو مثل إلغاء التعمّق في دراسة الحمض النوويّ والجينـــات المنتظمة والنموّ الغير مألوف. مثل تخطّي فكرة الجمـــاد والحياة والعلاقـــة بـــين الأســـيد الأمينـــيّ والبـــروتين والكاربوهيدرات والميكروبات والكربون وهضـــم نـــور الشمس وتأثيره علـــى النّباتـــات الســـحيقة. كالتشـــكّل المستحيل بين بيضة، دجاجة، بيضة، دجاجـــة، بيضـــة، دجاجة... مثل مَحْوِ آثار النّماذج والترسّبات في الطبقات والقشور والحمم البركانيّة.

ثمّة تراكم وجوهٍ فقط، يتحوّل إلى صرخة.

كلّ لحظة إلى صــرخة. ثمّــة تجــاويف وتصــدّعات مضغوطة تُجمّع نفسها أيضاً. هو نــوع مــن الضــّجر يسري في التراكم، لا علاقة له بالتنفّس وبالأوكســجين وبثاني أوكسيد الكربون.

ما يحدث ببساطة هو توسّع الزّمن وتحوّله إلــى نســيجٍ رئويّ، بدأ منذ مليار عام.

منذ تأخَّرَ بالوصول مغلّفٌ أبيض اللون، بشرائط حمراء، يحمل اسمي وطلاسم الكون بأسره.

لذلك ربّما لم يصل بعد. لذلك ربّما مضى ساعي البريد بالكتب والشرائط،

وكانت الحدود اللاّمرئيّة للأشياء.

(16)

كونشيرتو صغير في علبة موسيقى صغيرة.

لغزٌ تافهٌ يسحرني وحدي. باخ في أربعة سنتيمترات مكعّبة، ويتبدّل العالم وأعود بحياتي إلى جدارك...

الوحدة تمضي هكذا، على شكل نغمة غير معقّدة، يُحدثها المقبض الضئيل لكي أراك أمامي دائماً، لكي تستقرّ نظرتك البعيدة على أصابعي.

الأمر في الحقيقة يتعلّق بالانبعاث الساذج للصوت وذاك الشعور بالأمان الذي توجده نظرتك.

هل يمكنك الآن من هناك أن تتخيّل تدفّق الفراغ من داخل علبة بهذا الحجم؟

(17)

كلّما اهتزّت شجرة تؤلمني أطرافي
ويسقط نهارٌ.
لم أعرف أنّ الأسماء قريبةٌ لهذه الدرجة
مثل الموت،
أنّ الأسماء انتهاء،
أنّ الرحيل أمنيةُ الغريب.
العالمُ الوحيد هنا وردةٌ أخيرةٌ في الكأس
لا يسمعها سقوطُ النّهار،
لا تحدث، لأنّ لا أحد يسمع، لا أحد يتكلّم.
أيّتها الأشياء الثقيلة الصامتة
في أطرافي
في هذا السقوط المُبهر
أيّتها الحقيقة التي تسكُنُ قلبَ اللّيل.

(18)

عند الرّابعة فجراً ينبتُ عشبٌ من كفّك في محاولةٍ لقول شيءٍ بسيط. ينبتُ سورٌ بلونٍ غير مُكتمل أو شيءٌ من هذا القبيل.

يحدث أيضاً أن تخرج إلى الحديقة لتَفَقُّد غرسة لم تتعلّم النوم فتعود مُنهَكاً من أيامِكَ المعدودة، بشعورِ مدينةٍ سابحةٍ في الأفق.

دون قصدٍ، تُحدّق بتماثيل اللّيل الأليفة في مساحتك البيضاء. تُحدّق بذهولِ يدَيك بعد ملامسة الجِبس الدافئ الذي حرّكْتَه فصار.

لا تحتمل حيرة هذا الوقت، ولا تعرف إن كنتَ التمثال أم الغرسة أم المدينة.

تتمسّك باللاّشيء الذي يشبهك، وتحاول القول بأنّك هنا، نفَسٌ دافئ على زجاج غرفةٍ وحيدة. محاوَلةٌ لتكون شيئاً خفيفاً قبل الصّباح.

(19)

اللّحظة القابعة في الركن بين شفتينا
تُحدث جلبةً عظيمة
هناك آلةٌ غير مرئيّة تدور في رأسي، من الخلف.
تطحن وتطحن، هذه المرآة، أغصاننا
هذه ليست كلمة ولا صارت بعدُ شجرة برتقال
اللّحظة التي ولَّدت مادةً صوتيّة
قبل النّبرة، قبل صيرورة العالم
امتدادٌ لعُري الصور، لكثافة موتنا في مرارة الكلمة
لا شيء غير صوتٍ قديم بلا ضفّة
يمدّ روحي بالنّعاس
منذ الآن.

(20)

أشياءُ كثيرةٌ تتحضَّرُ للحدوثِ في مثل هــذه السّــاعات. أشياءٌ كثيرة تتحضّر للانتهاء. نظرةٌ تصحو في المدينــة الغريبة. بشحوبها الخاصّ. ثمّ تغوص فــي عــالمٍ مــن فوضى. صوتٌ يحاول الالتئام ليصبح مكاناً، وقلبي بين كلّ ذلك باتَ يُزعجني. مِزَقٌ منه تتدلّى من نوافذِ الغُرف كما لو أنّها رسائلُ لن يستلمها أحد.

هكذا تصير الأمكنةُ، تلك الأمكنة من صوتكَ ونظرتــكَ، مِزقةً أيضاً.

على هذه الشاكلة تَشرعُ بالتكوّرِ على نفسكَ تاركاً ركنـــاً صغيراً أعلى من مستوى العالم،

الركن المتواضع لكي يحملَ يدَكَ وما سَقَطَ من فمكَ في الحدائق القلقة.

كم ابتعدتَ يا قلبي في هذه الساعة الحيرى، يـــا قلبـــي النّديّ...

سوف تتّجه النّظرات بعد قليل إلى داخلكَ، ويُضافُ إليك شيءٌ من الخفوت.

(21)

لم يعد أمامي كثيرُ وقت
كي أُعيد تربية جدائلي التي قُطِعت
وأتوقّف عن لمس عنقٍ عارٍ
لازَمَني أربعين عاماً،
ما زال هناك بعضُ الوقت، ربّما
هناك حيث لا أدري
قبل أن أحمل صوتي إلى سماءٍ مائلة
وأنحني عميقاً
من ثقلِ الكلمة التي لم تغادر.

(22)

كلّ ليلة في مثل هذا الوقت
في هذه البلدات الصغيرة
أعود
مثل سائر الأشياء التائهة
أُغلق الباب على نفسي
ولا أعرف ماذا يفعل
هذا المشهد الفقير هنا.

(23)

ماذا حدث هنا حتى يُخيّمَ هذا السكون؟
هو العالم الذي لن يستفيقَ
أو الأيّام التي تَصِلُ في غير موعدها
دائماً
هي الكلمات تتكلّم عن أشياء أخرى
على امتداد الجبل وحول البيوت
في الامتداد الذي يخطف الأصوات المتأخّرة.

(24)

أفهم الآن الأمكنة التي لا يسمعها الله
شتلات اللّبلاب المتعرشة
وتجاويف الحجارة حيث لا يهدأ الماء،
مكاني البعيد الذي منه عُدتُ
متعثّرة بأفكار الناس عن الحرب وعن الصفقات.

(25)

من داخل هذا اليوم العادي
في الدرك الأدنى منه
شتاتٌ عادي أيضاً.

(26)

هذا الشيء المُتهاوي
في آخرِ مكانٍ من صوتكَ
يشبه حساسيّتي للأزهار في وقت المساء،
لكلّ ما هو غير مسموعٍ
وبحاجةٍ لروحٍ.
أتحدث عن شيءٍ بعيدٍ
لكي أتحدّثَ عن نفْسي
التي تتهاوى في غياب الأمكنة بعد هذه اللحظة،
هو الانقصافُ أكثرَ ما أُحاولُ ترميمَهُ
منذ الحياة المفاجِئة والبُعد الدقيق
منذ علمتُ أنّ مَرَضي هو العالم،
وفوات الأوان.

(27)

هل كان يجب أن تذكِّرَني أنّ هذه الأرضَ أصـــغر مـــن هروبي وأنّ البيوتَ هناك مزهريات من الدم؟
هل كان يجب أن أدركَ موتي كلّما نظرتُ في عيـــونهم الصاخبة بالحبَق وبأيّ شيء؟
كلّما علمتُ أنّني كآبةُ الغـــرفِ المهجـــورةِ والسّـــاحاتِ المتحجّرةِ للموت
وللخوف البسيط حين يُقدم الصّباح؟
هل كان يجب حقّاً كلّ هذه الحيوات المخيفة؟

(28)

كان شيءٌ من صوتكَ هناك على الشرفة
وفي الشّارع البعيد
كلّما تذكرت أنّ العالمَ وحيدٌ ومهزومٌ
وأنا هنا أكثرُ من اللازم
أصنعُ ندوباً من المدن الصفراء
بكلّ هذه الكلمات
الضئيلة
أصنع ياسميناً لصوتكَ في الموعد نفسه
لا يلامس الأرض.
قد تقلّص البعيدُ على شكل مسافةٍ
في كلمة واحدة مخيفة.
ماذا لو كان العالمُ أكبرَ من النسيان
أيّها الغريب
وأرهبَ من هذا الصّمت .

(29)

الخريف المُبكر هنا
الزرقة الصغيرة الجالسة قبالتي
لا تقول أبداً أيّ شيء،
موجودةٌ فقط
في وحدةِ الفصول،
في كلمةٍ واحدةٍ جامدة من فمِ
أولئك الذين مَضَوا.
كم كنتُ قريبة من التفكّك!
كم كنت...
أحفر كالعادة في صوتِ الوهم السّميك
في شحوبِ النّهاراتِ الغيرِ منتهية ،
يدي التي من غبار
تَنزف زرقةً صغيرة جالسةً قبالتي
مضاءةً بالغياب.

(30)

عندما تزداد نسبة الرطوبة
في مثلِ هذه الفصول
لا يُمكنُ رَدّ اليمامات الحنونة
عن المضيّ بجسدكَ،
حالةٌ مُربكة وغير متوقَّعة،
كمرورِ شخصٍ في داخلكَ
يتركُ تنهيدةً طويلة
ليحدّثكَ عن المنفى في عالمٍ متوحّشٍ
عن رائحةِ خبزٍ في غمرة الأشياء المنتهية.

أشكالٌ مُستعادة عند بداية هذه الفصول
لا تُعَدّ صدفةً
عتقُ الضباب في الدّاخل
شفافيّةٌ لم تَعُد مُجدية،
اللاّشيء المخادع الذي أيضاً
يتراكم مثل فكرةٍ عن الخواء،
ضروريةً
لكنّها لا تصلح للتدوين.

(31)

الضوء الشّاحب الذي تسلّل من كل مكان، كأنّه يحمل كلّ النظرات المُتعَبة في العالم، وكلّ الأصوات الخافتة والروائح العتيقة، يخلقُ لديّ رغبةً مُلحّة للذهاب إلى السوق لشراء طقم أوانٍ جديد للمطبخ. رغبة مُلحّة وغير مفهومة، بأن أفرش المائدة بشرشف جديد وصحون وفناجين قهوة وعلبة خبز مختلفة عن التي كانت في الخريف الماضي. الخريف الذي يمعن دائماً في استهلاك الأشياء.

علاقة الضوء والنظرة وهذا الخفوت الذي أشكو منه ورائحة البيوت والأسواق، بالرغبات البسيطة ، كالإلحاح لشراء أوانٍ للمطبخ، مظهرٌ خاص جداً ومُزمن من مظاهر ما يُسمّى بالحنين.

الحنين العذب الذي يأكل معي على مائدة واحدة وصحن واحد .

الحنين الذي يأكلني .

(32)

أنا هنا منذ الأزل أدير وجهي،
أفتح النافذة الوحيدة لتدخل رائحة الأرض،
مع رائحة الأرض يعبرون
هؤلاء الذين لم يعودوا بحاجةٍ لشيء.
لم نعد بحاجة لمن يأخذ لنا صورةً، في أسمائِنا معنى الانقصاف ومفاتيحُ بيوتنا. سوف نكبُر في زمنٍ آخر خارج مساحة الإقامة الضيّقة وخارج حدائق العالم.
سمعتُهم يتحدثون.
من هذه النافذة بالذات يرتفع المنفى ويتشبّه الإنسان بالتراب.
أنا هنا مثلهم، لم أستطِع أن أغلُبَ العالم.
أخاف إن سمعتُ صوتي، أن يصبح كلٌّ شيءٍ حقيقةً
أنا هنا وسط الخريف كأنّي بعيدةٌ عن كلّ شيء،
في ملجأ الضّجر المرعِب
أركن إلى شجرةِ دلب.

(33)

أحاول أبداً أن أعود
أن ألحقَ بصوتٍ متروكٍ ليسَ لأحد
لكن نصفي الذي هناك لم يعد يُرى
وجلدي الذي هنا يرقّ ويرقّ
حتى باتت شراييني زرقاءَ وبارزة
مثل حياةٍ من دون كلمة
تتنقّل بين الفصول والأزقّة
مُفتَقَدَةً
ولا تُحتمل.

(34)

وقد رحلتِ
هديّة سريّة
برائحة قشر اللّيمون
خارج اليوم الطويل
خارج النظرة والتمزُّق الذي
يأتي بعد ذلك،
يا نفسي ! هل ترين؟
هل ترين من هنا
كم هو شاهقٌ
هذا المكان؟!

(35)

يحدث أن أستفيق من الشتاء
بيدٍ ساخنة
ثمّ سرعان ما ألحظ
واحدةً ساخنة والأخرى متحجّرة
طبيعةٌ مماثلة في الخارج،
غبارٌ مخلوطٌ بثلجٍ مزمن
هذا الضوء الأصفر
الحياة المتعسّرة
شلّة العصافير التي لن تُدرك بيوتَها
الثّلج الأصفر الذي يخصُّني وحدي
أسنانهم التي تعضّ على وجعٍ زال منذ لحظة
أبي الذي لم يعلّمني النسيان،
أشياء كثيرة قد تكون مملّةً لغيري
لكنّها تسخن وتثلج، تتجمّد
في يديّ.

(36)

كنتُ متأكّدةً من وجود كلمةٍ محدّدة،
كلمةٌ أضعتها في حقول اللّغة والقواميس المكدّسة أمامي
كلمة واحدة تقول لونَ صوتِكَ أو رائحته أو ما تبقّى من وَقعِه بعد أن تُلقي السّلام على كلّ المارّة في حياتِكَ...
لن تذكر بالطبع كيف كنتُ أحاولُ لمسَهُ حيث تتركُه على الطاولة
بين فنجانَيْ قهوتنا المُرَّة وقطعة الحلوى بالزنجبيل التي كنتُ أفتّتها على مهل،
كأنّها قصيدةٌ لا أريدُها أن تنتهي،
كأنّي كنتُ أريدُ أن أحفظَ
نظرَتَكَ على يديّ وحبَّك للونِ أظافري
كأنّي أتحضّرُ لحفظِ فتاتِ صوتِكَ الذي
بدأتُ أفقدُه متحلّلاً في الوقت
في شغور تلك الطاولة والكراسي،
تماماً مثل فَقدي الثّقيل
وكبريائي المغفّل.

(37)

أنا التي وُلدتُ على الحافّة
بين شتاءٍ وربيعٍ مضى
منذ ما يُقاربُ الألفَ عامٍ أو أكثر
لم أعرف حتى اليوم
يوم ميلاديَ الحقيقيّ،
لم يتمكّن أحدٌ من مساعدتي
على تحديد ذلك
أو على إعفائي من حمل أرقامه
لم يعنّي أحدٌ على فهم خطورةِ
الا إنتماء
إلاّ الجدران الآيلة للسقوط في كلّ لحظة
على مرّ السنين والخيبات،

لم أُحسن إمساك ذاك العقد يا أبي
فَرَطَتْ حبّاتُه أمام ناظري،
كلّ عام أخبّئُ واحدةً في الدفيئة خلف البيت
سنة تِلو السّنة،
كأنّي أتمنّى دفنَ الانفكاكِ الذي يتكرّر
وأَقْنَعُ أن ليس لي أمنياتٌ صعبة
كتغيير العالمِ المُعتلّ مثلاً.
هل تعلم يا أبي أنّني أطفئُ الشّموع كلّما تذكّرتُ
حين أصحو أو قبل النّوم
كما لو كنتُ أخترعُ عيداً لنفسي،
بقربي إبرةٌ وكشتبانٌ من خزف
إنتقيتُه من إحدى سفراتي
يُعاونني لرتقِ حياةٍ غير كافية،
وقد صارت اللّيلة نصف منتهية.

(38)

ليس صدفةً كلّ هذا
العمر من جهة
ووداعة بعض الأيام في السّقيفة
من جهة.
لذّتي الطفوليّة في الوسط،
خلفَ نافذةٍ مكسورةٍ.
بقميصٍ من الشيت القديم
أغبّش الزجاج
المطلّ على غديرٍ راقد
وذاكرة،
ليس صدفة
كلّ هذا القَفْر.

(39)

لديّ صورٌ كثيرة إدّخرتها منذ بدء الزمن
كتعويذة
صورٌ ملأت بها الحيطان العريضة وزوايا المدافئ
حتى فاضَتْ بها الأرض،
منها ما يلائم هذا الطقس
ومنها ما لم يَعُد ينتمي للنظر.
هناك تلك الأكثر اضطراباً
التي بقيت مكدّسةً لأيّامٍ قادمة
بعد أن تجفّ رائحة بتلات الورد
بين الصّفحات،
حين سينظر إليها أحدٌ باستغرابٍ لطيف
داخل ألبوم الأسماء
الذي رتبتهُ بنفسي،
يمرّر يدَهُ على وجهي
دون أن يعرف اسمي / هناك
بين الأسماء المكتملة الكثيرة.

(40)

اليوم أيضاً، فاتني قطارُ التاسعة
كما قطار كلّ السّاعات من يومٍ آخر.
أفعل ذلك عن قصد
ليس لأنّني مولعةٌ بصرير المقطورات المفكّكة
أو بالأبخرة المتصاعدة كالأرواح الحزينة،
بقدر ما أنّني أدمنتُ المحطّةَ
والتوقُّعَ الذي في التواءِ السكّةِ وقلبِ الحديد،
أدمنتُ الحياةَ الشّاخصة
في رائحةِ الصّدأ
/التي تشبه رائحة الدّم، لا أعرف كيف ولماذا/
والعيون المنتظِرة.

(41)

لا صوت للأشياءِ حتى الآن،
على غير عادة
أم أنّها بصمتٍ تأخذُ وجوهاً جديدة.
صمتٌ يطنُّ في رأسي.
مَن الذي لا يحلم أن يبتلِعَهُ لونُ الحجارة؟

(42)

كلّ هذه العودة لا تمتٌّ للواقعِ بصلة
كلّ هذا الاصفرارُ حولَ صوتِكَ
هذا القَبْضُ على نَفَسي
الذي تركتَه ناقصاً،
الانتفاخُ الظّاهرُ تحتَ عينَيَّ
من كَثْرَةِ الوقتِ
من كَثْرَةِ التحديقِ فيه على الأرجح،
الامتدادُ الرتيبُ بين الأشياءِ التي ذكرتُها / التي لم أذكرها/
وبيني،
كلُّ ما يمكنُني رؤيتُهُ بالنّظرة المجرّدة
يحدثُ الآنَ في النّقصانِ
في الشّارع الخلفيّ
الزّقاق رقم مئة،
قريباً من حياتي.

(43)

لم يَعُدْ ينفعُ أيٌّ شيءٍ
وحدكَ في الغرف المشبعة برائحة العِتق،
قد يكونُ السّببُ
ستائركَ المدلاةِ على الوقتِ
أو ببساطة
القاربُ الورقيُّ الصغير الذي مزّقتَ صفحةً من أجله،
بالأحرى صفحات،
ووضعتَ فيه كلَّ بكائِكَ وأخضرَ الطّحالبِ،
أخذَ مياهَ الدنيا كلّها على غفلةٍ منكَ، وذهبَ،
مترنّحاً كما في صورةٍ
متداعية كالأبد.

(44)

تتفرّجُ من فوقِ جسرٍ افتراضيٍّ
من فوقِ العجْزِ والانقضاءِ
تحاولُ ابتكارَ شيءٍ مختلفٍ، لكن
الجرحَ الذي ترَكَتْه شفتان في باطن كفِّكَ
عند انفِطاركَ بينَ زمنَين،
بمثابة وداعٍ لطيفٍ ومهذّب
لمجملِ الأشياء.

(45)

كنتُ أشعر أنّ الكلماتِ الكثيرةَ
الكثيرةَ والمستهلكةَ
ستكون عبئاً شديداً على نفَسي
وأنّني سأصير الغائبة، بامتياز
مثل الحياة الحقيقيّة لدى غي غوفيت.

(46)

أكتبُ هنا لأنّ الأمرَ يَعنيني
نوعاً ما
لإنجازِ مقطعٍ هادئٍ
على الهامش
ولأنّني عديمةُ المبالاةِ وعديمةُ المَقدِرةِ
ذاتَ قلبٍ غريبٍ عن باقي جسمي
كسائر الغرباء،
لن يمكنَكَ أن تجعلَني أرى بالقوّة
ما جدوى العالم، ككلّ.

(47)

قرأتُ لافتةً عند الفجر في مكانٍ ما
تذكّرتُها اليومَ فقط.
قد يكون أنا من كتَبَها دون أن أدري:
سيكونُ الاقترابُ ممنوعاً عليكَ
وممنوعٌ عليكَ أن ترحلَ.
تساقَطْ هنا لآثار الأقدام العابرة.

(48)

في هذا الموسم
يصنعُ الحَورُ ندائفَ القطنِ في بلدتي
تتطايرُ عَكسَ الجذبِ
بيضاءَ لا تغطُّ في مكانٍ
من هذه الحياة.
من العَبثِ أن تُلتقطَ أو تُسمَعَ
لكنّني سمعتُكَ
في غابةِ الحورِ القريبة
أو ربّما تخيّلتكَ
قبل أن يَلفُظَ وقتُنا أنفاسَهُ:
قلبُكِ أرقُّ من جؤجؤِ طائرٍ
في موسم القطن.
هل تذكرُ الآن قلبي،
ذاك المنسوجُ أيضاً من نباتٍ خفيف
الأخفّ من الغشيان،
ذاك الذي لم يُصدِرْ صوتاً حين تطاير؟.

(49)

لم أكن أعرف أنّ هذه الشتلة في إصبعي
ستصبحُ شجرةَ زيتونٍ
متماديةً في السّوادِ والمرارة.

(50)

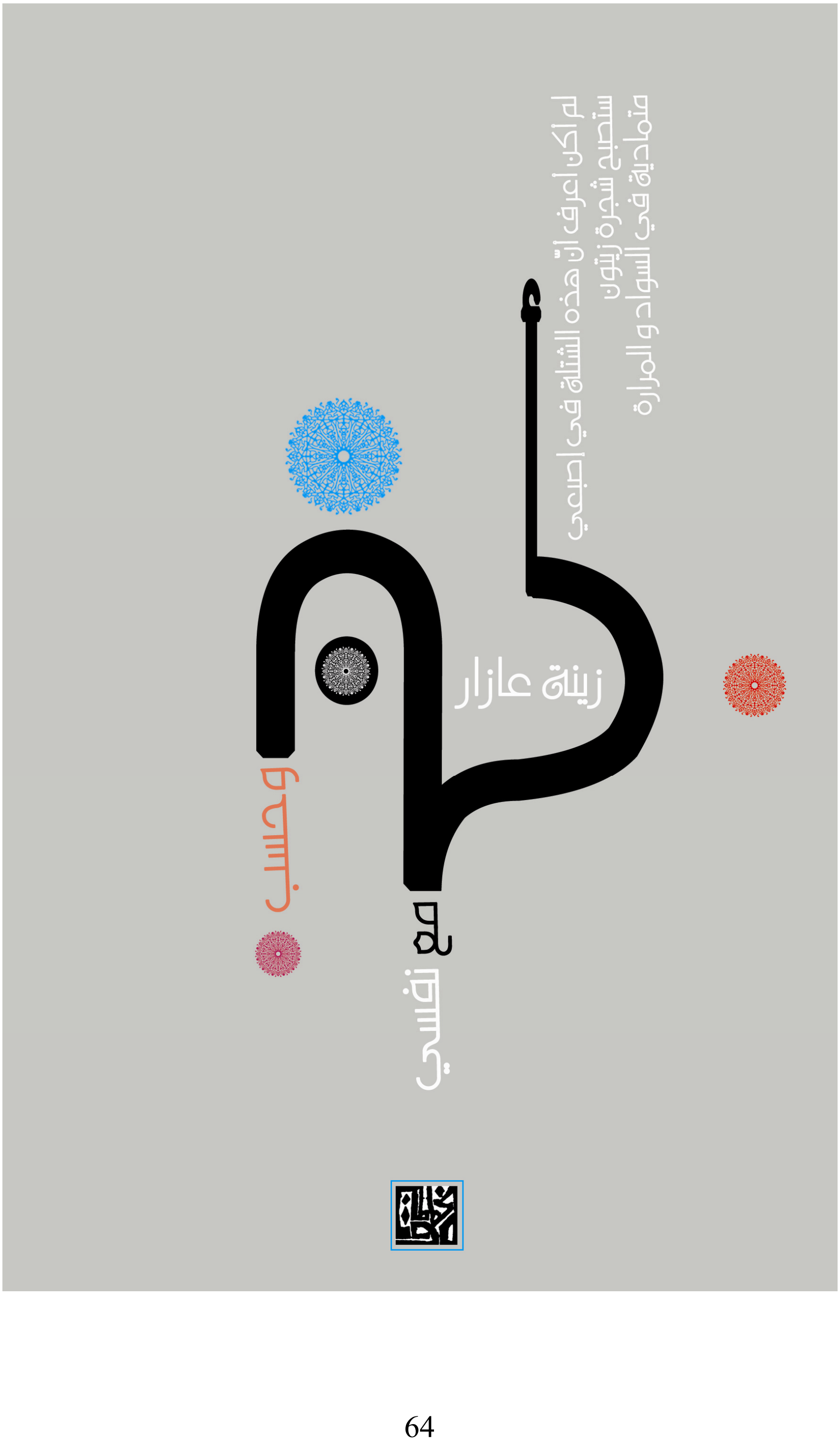
هناك امتدادٌ لكلّ نظرةٍ
كما يحصلُ الآن مع ذراعي
حين تفتحُ نافذةً
وتغبُّ من وجوهِكُم
كلّ الحياة،
دفعة واحدة.

(51)

أفتّش عن صورةٍ للغلاف
لغلافِ هذه المساحةِ حيثُ أعيشُ
لمئتين وتسعينَ مِتراً مربّعاً من الفراغ.
هنا وُهبتُ لوناً لعينيّ
لم أختَرهُ،
وزوايا كثيرة لا تصلِها ريشَتي.
فمي أبيضُ مثل هذا الجدار، مستوحشٌ
الباقي كلُّه هنا
الصّيف القاسي، ثِقلُ الجاذبيّة، النوافذُ المتّسعةُ لكلِّ شيءٍ،
لذاكرةِ الطرقات.
مشهدٌ لطيفٌ، تقولُ النّافذةُ للمارّةِ على رصيفِ الحياة.
مشهدٌ مُقنعٌ

لو كان هناكَ،
خارج الثِّقل،
ما يُقال.

2016


لم أكن أعرف أنّ هذه الشتلة في إصبعي
ستصبح شجرة زيتون
متمادية في السواد و المرارة
زينة عازار
مع نفسي
وحسب